الإيمان، وحقيقةُ المَشيئة

دحْضُ شُبُهات القائلين بخَلْقِ الأفعال

الشريف المرتضى قدس سره

للشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت: ٤٣٦ للهجرة) أجوبة على مسائل في علومٍ شتّى كانت تَرِدُ إليه من أنحاء العالم الإسلامي، طُبعت في مجلّداتٍ أربعة بعنوان (رسائل الشريف المرتضى)، كما تضمّنت هذه الرسائل نقاشاتٍ مع المخالفين، ومنها هذه الرسالة في المشيئة والإرادة عند المولى سبحانه وعند العبد، ناقش فيها القائلين بخلق الأفعال وأنّه لا صُنعَ للعبد في شيءٍ منها، وهي نموذجٌ من علم الكلام الإمامي الذي كان سائداً في حينه.

قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ يونس:٩٩.

معنى ذلك: لو شاء ربّك لألجأ الناسَ أجمعين إلى الإيمان، لكنّه تعالى، لو فعل ذلك لزال التكليف، فلم يشأ ذلك، بل شاء أن يُطيعوا على وجه التطوّع والإيثار لا على وجه الإجبار والاضطرار. وقد بيّن الله ذلك فقال: ﴿..أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ..﴾، يريد أنّي أنا أقدَرُ على الإكراه منك ولكنّه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ..﴾ البقرة:٢٥٦.

وكذلك الجواب في قوله: ﴿..وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ..﴾ الأنعام:١١٢.. [أي] ولو شاء لَحالَ بينهم وبين ذلك. ولو فعلَ ذلك لزال التكليف عن العباد، لأنّه لا يكون الأمر والنهي إلّا مع الاختيار لا مع الإلجاء والاضطرار...

وقد بيّن الله في كتابه العزيز أنّه لم يشأ الشِّرك، وكذّب الذين أضافوا إليه ذلك، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ..﴾ الأنعام:١٤٨، فأخبروا أنّهم إنما أشركوا بمشيئة الله تعالى فلذلك كذّبهم. ولو كانوا أرادوا أنّه لو شاء اللهُ لحالَ بيننا وبين الإيمان لما كذّبهم الله. قال تعالى تكذيباً لهم: ﴿..كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا..﴾ - يعني عذابنا - ﴿..قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ..﴾ - يعني هل عندكم من علم أنّ الله يشاء الشرك. ثمّ قال: ﴿..إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ الأنعام:١٤٨، يعني تكذبون...

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ النحل:٣٥. خبّر أنّ الرسلَ قد دعتْ إلى الإيمان، فلو كان الله تعالى شاء الشركَ لكانت الرسلُ قد دعتْ خلافَ ما شاء الله، فعلمنا أن الله لم يشأ الشرك.

حقيقةُ مشيئة العبد

فإنْ قال بعض الأغبياء: فهل يشاء العبد شيئاً أو هل تكون للعبد إرادة؟ قيل له: نعم، قد شاء ما أمكنه الله من مشيئته، ويريد ما أمَرَه اللهُ بإرادته، فالقوّة على الإرادة فعل الله، والإرادة فعل العبد. والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا..﴾ الكهف:٢٩. وقال تعالى: ﴿..فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ المزمل:١٩... وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ..﴾ يوسف:٥٦، وقال: ﴿..فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا..﴾ الأعراف:١٩، وقال: ﴿..لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الكهف:٧٧.

وقال تعالى فيما بيّن أنّ العبد قد يريد ما يكره الله من إرادته، فقال: ﴿..تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ..﴾ الأنفال:٦٧، وقال: ﴿..يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ..﴾ الفتح:١٥... وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ..﴾ المائدة:٩١. وما أشبه ما ذكرنا أكثر من أن نأتي عليه في هذا الموضع.

فإنْ قال: فما معنى قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ..﴾؟

قيل له: إنّ الله ذَكَرَ هذا المعنى في موضعيْن، وقد بيّنهما ودلّ عليهما بأوضح دليل وأشفى برهان على أنّها مشيئته في الطاعة، فقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ التكوير:٢٨-٢٩، فهو، عزّ وجلّ، شاءَ الاستقامةَ ولم يشأ الاعوجاج ولا الكفر.

وقال في موضعٍ آخر: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ..﴾ الإنسان:٢٩-٣٠، فالله قد شاءَ اتخاذَ السبيل ولم يشأ العبادُ ذلك إلّا وقد شاء الله لهم، فأمّا الصَّدّ عن السبيل وصرفُ العباد عن الطاعة، فلم يشأه عزّ وجلّ.

تفنيدُ القول بأنّ الله أراد المعاصي

ويقال لهم: أليس المريدُ لشَتمه غيرَ حكيم؟ فمن قولهم: نعم، قيل لهم: أو ليس المخبر بالكذب كاذباً؟ فمن قولهم: نعم، قيل لهم: وقد زعمتم أنّ الله يريد شتمه ويكون حكيماً! فلا بدّ من الإقرار بذلك، أو يتركوا قولهم.

ويقال لهم: فما أنكرتم أن يُخبر بالكذب ولا يكون كاذباً؟ فإن منعوا من ذلك، قيل لهم: ولا يجب أن يكون حكيماً بإرادة السَّفَه وإرادة شتم نفسه، ولا يجدون إلى الفصل سبيلاً. فإن أجازوا على الله أن يخبر بالكذب لم يأمنوا بعدُ إخبارَه عن البعث والنشور والجنّة والنار أنّها كلّها كذِب، ويكون بذلك صادقاً، ولا يجدون من الخروج عن هذا الكلام سبيلاً.

ويقال لهم: فما تريدون أنتم من الكفّار؟ فإنْ قالوا: نريد من الكفّار الكفر، فقد أقرّوا على أنفسهم بأنّهم يريدون أن يُكفَر بالله، ويجب عليهم أن يُجيزوا ذلك على النبيّ، صلّى الله عليه وآله، بأن يكون مريداً للكفر بالله تعالى، وهذا غاية سوء الثناء عليه.

وإن قالوا: إنّ الذي نريده من الكفّار الإيمان. قيل لهم: فأيّما أفضل؟ ما أردتم من الإيمان أو ما أراد اللهُ من الكفر؟ فإن قالوا: ما أراد الله خيرٌ ممّا أردنا من الإيمان، فقد زعموا أنّ الكفر خيرٌ من الإيمان. وإن قالوا: إنّ ما أردنا من الإيمان خيرٌ ممّا أراده الله من الكفر، فقد زعموا أنّهم أولى بالخير والفضل من الله، وكفاهم بذلك خِزياً.

فيقال لهم: فما يجب على العباد.. يجب عليهم أن يفعلوا ما تريدون أنتم أو ما يريد الله؟ فإن قالوا: ما يريد الله. فقد زعموا أنّ على أكثر العباد أن يكفروا، إذ كان الله يريد لهم الكفر. وإن قالوا: أنّه يجب على العباد أن يفعلوا ما نريد من الإيمان ولا يفعلوا ما يريد الله من الكفر، فقد زعموا أنّ اتّباع ما أرادوا هم أوجبُ على الخلق من اتّباع ما أراد الله، وكفاهم بهذا قُبحاً.

ولولا كراهة طول الكتاب لسألناهم في قولهم، إنّ الله تعالى أراد المعاصي، عن مسائل كثيرة يتبيّن فيها فساد قولهم، وفيما ذكرناه كفاية، والحمد لله رب العالمين.

(مختصَر)

لا يشاءُ العبدُ إلّا ما أمكنَه اللهُ تعالى من مشيئته، ولا يريدُ إلّا ما أمره الله بإرادته، فالقوّة على الإرادة فعلُ الله، والإرادةُ فعلُ العَبد

لو كان اللهُ شاءَ المعاصي من العباد لكانت الرُّسلُ قد دعتْ خلافَ مشيئته تعالى، فعلمنا أنه سبحانه لم يَشَأ ذلك

كيف وصلتَ؟ بأيّ ثقافةٍ اغتذَيت؟

في حفل تأبين الشهيد عبّاس يوسف عبد الكريم كوراني

بقلم: الشيخ حسين كوراني

الشهيد عبّاس يوسف كوراني نبتة عاملية في رياض أهل البيت عليهم السلام، ريُّها والسُّقيا ماء الكوثر أو الدموع على سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

بالشهادة صار عبّاس أميراً من أمراء الجنّة.

هنيئاً لأصحابِ النعيم نعيمُهم.

فلتهْنِكَ الشهادة يا عبّاس.

أصبحت ممّن قال فيهم سيّد النبيّين لسيّد الوصيّين:

«وَشِيعَتُكَ عَلى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ، مُبْيَضَّةً وُجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الجَنَّةِ، وَهُمْ جِيرانِي، وَلَوْلا أَنْتَ يا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي».

وَلَيَهْنِكَ ، أيّها العزيز، جوار محمّدٍ وآل محمّدٍ صلّى الله عليهم أجمعين.

أُذكرنا عندهم.

بلّغهم سلام العجز عن التحليق في آفاقهم.. إلّا بكرمهم؛ وهو كرم الله، تعالى، ولطفُه والحنان.

***

كيف وصلتَ يا عبّاس؟ كيف؟

أيّ منبتٍ حملَك؟

بأيّ ثقافةٍ اغتذيتَ؟

وأيّ شهادةٍ عظيمةٍ فزتَ بها، وفازتْ بك؟

أعرفُ من منبتك، قريتنا (ياثر) (ياطر).. والجدَّ المرحوم الحاجّ عبد الكريم كوراني، والوالد الحاجّ يوسف كوراني وكلّ أُسرته المؤمنة المسالمة.

أمّا الجدّ، فكفيفٌ بصير، يتميّز بذكاءٍ لمّاع ، قارعَ الحجر والمدَر، وعانقَ الشجر، وكدحَ في «الوعر» كعشرة رجالٍ مُبصرين.

ممّا ورثتَه منه: شدّة المحافظة على بيت المال، وتواصل الجهد والكدّ والكدح، والإقدام الذي تميّزتَ به، فكنتَ في طليعة أيّ هجومٍ كما عُهد عنك.

من ذكاء جدّك، يا عبّاس، أنّه كان يودِع المفتاح «**جُبّ البلّان**» أو «**القندول**» ويمضي إلى عمله ليستخرجه في العودة بمنتهى اليُسر.

ليس هذا بيت القصيد يا عبّاس.

بيت القصيد في شخصية الجدّ أنّه كان حليفَ المسجد والسجود والذكر.

يذكّرني بمسجديّته بعبد الله بن عفيف الأزدي، الذي ذهبت عيناه في وقعتَي «الجمل» و«صفّين»، فكان حمامةَ مسجد الكوفة، ثم خاض– إثر عاشوراء

عام ٦١ هجرية - وهو كفيفٌ مواجهةً حاميةَ الوطيس مع جلاوزة ابن زياد، تساعده كلمات ابنته تحذّره من مهاجميه، وهو يرتجز:

أُقْسِمُ لَو يُكْشَفُ لِي عَنْ بَصَرِي لَضَاقَ عَلَيكُم مَورِدي وَمَصْدَري

تلحّ على ذهني صورة جدّك، يا عبّاس، يتوجّه إلى المسجد في هَدْأَة الليل والناسُ نيام، ثمّ يمضي إلى عمله قبل الشروق ليعودَ قبيل الغروب إلى المسجد، ولا يغادره إلّا في وقتٍ متأخّر.

ومنه ورثتَ مسجديّتك يا عبّاس، فكنتَ دائم الصلاة في المسجد، ومعك صغارُك الذين زرعتَ فيهم حبّ المسجد والمحراب.

ويتذكّرون في موعد كلّ صلاة صبح، كيف كنتَ تتّصل بهم من مواقع الجبهات توقِظُهم للصلاة.

بلى أيُّها الأمير المحلّق.. ومن جدّك ورثتَ أيضاً قرّة العين في صلاة اللّيل.

يتذكّر بعض زملائك كيف أيقظتَه - في القلمون - لصلاة الليل فتذرّع بالبرد، فبادرته: «أُلُفُّكَ بالحْرام» (البطانيّة).

ويتذكّر آخر، كيف أيقظتَه وأنت تقول له: «ها أنا أُحضِّر القهوة».

ويضيف: «كانت صلاة الليل عند الشهيد عبّاس كأنّها صلاةٌ واجبة».

وأمّا الوالد العزيز الحاجّ يوسف «أبو رائف»، فلن أقفَ إلّا عند ميزة فريدة في شخصه الكريم هي «قلّة الكلام»، لا عن «عِيّ».

وما أدراك ما هذه العظَمة!

في المرويّ عن المعصومين، عليهم السلام، حشدٌ مترامي الأطراف والدلالات والنتائج عن الصمت وقلّة الكلام وآداب اللسان.

تريد هذه الروايات كلّها أن تقول: إنْ لم تكن من أهل الذكر والكلام النافع، فاحفظ بالصمت سلامةَ المسار والمصير.

فَلتَهْنِكَ هذه المنقبة يا أبا رائف.

ولتَهْنِكَ أُسْرتُك الوادعة المسالمة المُتَديّنة.

وليَهْنِكم هذا الفارس الواصل الذي يشفع لكم وللكثيرين منّا.

ورزقكم الله تعالى مع طول العمر ما رزقه، فلا تحتاجون إلى شفاعته.

****

يا عبّاس... أيّها الأمير الحسيني!

كان هذا عن المنبت.

وأما الثقافة فهي باختصار:

ثقافة «يَا لَيتَنا كنّا معَك». ثقافة «لبّيكَ يَا حُسَين».

ثقافة «اللّهمّ صلّ عَلى محمّدٍ وآلِ محمّدٍ، وَعجّل فَرَجَهُم».

هي نفسها، «ثقافة رجب وشعبان وشهر رمضان».

ثقافة «وَقَتْلاً فِي سَبِيلِكَ مَعَ وَلِيّكَ فَوَفِّقْ لَنَا».

ثقافة الصلاة والصوم... وكنتَ أيّها المُسافر المُجِدّ كثير الصوم، حتّى إنّك نفّذتَ كلّ عمليّاتك الكثيرة وأنت صائم، وصمتَ ثلاثة أيّام قبل تنفيذ عمليّة نوعيّة لم يوفّق لها غيرك على طول الحدود الفلسطينيّة.

ثقافة القرآن الكريم والنبيّ العظيم.

ثقافة الحسين وأُمّه وأبيه وجدّه وأخيه والتسعة من بَنيه.

ثقافة «صاحب الأمر الذي يتنزّلُ في ليلة القَدر».

السلامُ عليكَ يا صاحبَ الزمان. السلامُ عليكَ يا صاحبَ الزمان. السلامُ عليكَ يا صاحبَ الزمان.

هل إليك يا ابنَ أحمدَ سبيلٌ فترضى؟

سيّدي أقفُ على أعتاب شهيدٍ من جنودك وأتوسّل به وبكلّ أترابه الشّهداء والمُنتظرين لعلّك ترضى.

يا ابنَ الزهراء.. يا ابنَ الزهراء.. يا ابنَ الزهراء..

سيّدي سيّدي سيّدي.

إلى الله تعالى نشكو فقدَ نبيّنا، وغيبتَك يا وليّنا، وكَثرةَ عدوّنا، وقِلّةَ عددنا، وشدّةَ الفتن بنا، وتَظَاهُرَ الزمان علينا.

وما الذي نَقِمَ منّا يهودُ الحجاز.. آل سعود، غيرَ نكيرِ سيوفِنا وتنمُّرنا في ذاتِ الله ضدّ أميركا واليهود.. وكلّ الكافرين.

***

هذه هي ثقافتك يا عبّاس.. **ثقافة دعاء الافتتاح، وكُمَيل، والنّدبة، والتوسّل، ومجالس العزاء النبويّة.**

أيّ سرٍّ بينك وبين دعاء الندبة يا عبّاس؟

لماذا كنتَ تصرّ على الفوج الذي عُهدتْ إليك قيادته أن يقرأوا دعاء الندبة كلّ جمعة على ضريح شهيد؟

كم قرأ جدّك وكلّ الأسرة والأُسَر المؤمنة دعاء الافتتاح؟

وكيف تعامل جدّك وأهل منبتك «ياثر» وكلّ هذه البلاد مع رجب وشعبان؟

الحسينيُّ شَعبانيّ..

في شعبان مولد الحسين وأبي الفضل – كافل زينب – والسجّاد عليهم السلام.

وفي شعبان مولدُ الطالب بثار ثار الله تعالى؛ الطالب بدم المقتول بكربلاء.

***

وأمّا الشهادة، أيّها الأمير عبّاس، فهي كما تمنّاها عبد الله بن عفيف الأزدي، حين قال لابن زياد: «**الحمدُ لله ربّ العالمين، أما إنّي قد كنتُ أسألُ الله ربّي أن يرزقَني الشهادةَ قبلَ أن تَلِدَك أمُّك، وسألتُ الله أن يجعلَ ذلك على يدَي ألعنِ خلقِه وأبغضِهم إليه**».

من هم هؤلاء الألعن والأبغض؟

لقد حدّدهم الإمام الحسين، عليه السلام، للأجيال حين خاطبهم في كربلاء:

«**وَيْلَكُمْ يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِيْنٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ يَوْمَ المَعَادِ، فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُم عُرُبَاً كَمَا تَزْعُمُونَ**».

إنّهم النواصب الذين يخرجون على إجماع الشيعة والسنّة ويُبغضون أهل البيت، عليهم السلام، ويحبّون آل أبي سفيان.

ليسوا سُنّة، مهما تظاهروا بزعامة أهل السُّنّة والجماعة.

إنهم فروع الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، وامتداد التحالف الأموي – اليهودي الذي أسّسه الشيطان على يد أبي سفيان ويهود المدينة المنوّرة.

بعد الألف شهر، راق العبّاسيّين تمويهُ الأمويّين للتسلّل إلى موقع «**أولي الأمر**» فاعتمدوا نفس المخطّط الأموي. ممّا يثبت ذلك ما أورده الطبري في (تاريخه) في أحداث سنة أربع وثمانين مائتين.

وتواصَل اعتماد هذا المخطّط إلى القرن السابع الهجري، فكان ابن تيميّة علامة فارقة في التحالف الأموي – اليهودي المُتسلّل إلى زعامة الأُمّة، ثمّ جاء ابن عبد الوهّاب ليُعيد صياغة أفكار ابن تيميّة في ما عُرف باسم «الوهّابيّة» التي تبنّتها المخابرات البريطانية، ثمّ الصهيو – أميركيّة، خطّةَ عملٍ لآل سعود وآل الشيخ (ابن عبد الوهّاب) للتسلّق والتسلّل إلى زعامة العالم الإسلاميّ.

**

من بين الأدلّة الدامغة التي تحفل بها كتب علماء الأُمّة، شيعةً وسنّة، حول حقيقة ابن تيمية – وبالتالي جميع الوهّابيّين – أكتفي ببعض ما أورده ابن بطّوطة في رحلته المعروفة تحت عنوان «**الفقيه ذو اللَّوثة**» حيث يقول:

«وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيميّة كبير الشام يتكلّم في الفنون. إلا أنّ في عقله شيئاً. وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم ويَعِظُهم على المنبر «..» حضرتُه يوم الجمعة وهو يَعِظُ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم. فكان من جملة كلامه أنْ قال: إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجةً من درج المنبر، فعارضه فقيهٌ مالكيّ يُعرَف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلّم به. فقامت العامّة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتّى سقطتْ عمامته».